محمد نعيم فرحات*

أهم معركة في سياق الحرب الطويلة:

منطق الاستباحة الاسرائيلي يولد نقيضه

■ شكّلت قيمة الاستباحة مركز عقيدة اسرائيل واستراتيجيتها وسياساتها، وقد عبرت هذه القيمة عن نفسها ضد العرب في كل صعيد: استباحة الارض والحق والكرامة والمعنى والرموز والتاريخ والوعي....

بيد أن اسرائيل الفظة في كل شيء والتي قامت بقوة دفع هائلة، وامتلكت شتى أنواع القوة قد استدعت من العرب المستباحين أنفسهم بلورة رايات تقاومها وتقاوم الغرب المتحالف معها قبل نشوئها وحتى اللحظة.

ورغم تحطم هذه الرايات وانكسارها عموما لاسباب ذاتية وموضوعية كانت تطيح بها، الا أن يوما لم يمر منذ ظهرت اسرائيل كفكرة الى أن صارت دولة وسطوة وقوة غالبة وقادرة ومهيمنة بدون وجود صوت أو راية تقاومها مبنى ومعنى. ولقد أظهر العرب في هذا المستوى طاقات حيوية حتى لو تعثرت في حين أظهرت «اسرائيل» خاصية مثيرة تتميز بها كل القوى الغاشمة على مر التاريخ، وهي عدم القدرة على استخلاص العبر وقراءة الواقع والاحتمالات والعمل بضوء ذلك. وأسوة بغيرها فان استخلاصها للعبر سيتم ولكن بعد فوات الأوان.

وفي صيرورة الاستباحة الاسرائيلية ومقاومتها التي اشتغلت طوال قرن وها هي تدخل قرنا آخر، تولد حزب الله بما هو بنية ورثت كل المقاومات السابقة عليها وتجاوزتها واختلفت عنها في نفس الوقت. ان حزب الله كحركة مقاومة ومختلفة يمثل نموذجا لا سابق له في تاريخ المقاومات العربية ضد «اسرائيل».

ولا يرتبط الأمر هنا بجماعة مقاتلة من طراز مثير، بل ببنية حقيقية متجذرة وممتدة لها رؤية وخطاب ايديولوجي خال من الشوائب والالتباسات. وتحمل مشروعا متكاملا ومقاربة عقلانية وخلاقة في بحثها عن صياغة مصيرها ومساهمتها في صياغة مصير محيطها، مشروع جمعت له ما استطاعت من الشروط الروحية والأخلاقية والتعبوية والمادية.

وفي سياقات تعبير حزب الله عن نفسه كحركة ونموذج، فقد أعطى صيغا خصبة ومتوائمة وأصيلة ورشيقة وحيوية ومنسجمة عن رؤيته في كل صعيد. ولطالما حاول جر وعينا الجماعي من خلال تجربة حية وحقيقية باتجاه امكانيات تحقيق النصر والانجاز وصيانة تواصل هذه الامكانية.

وبخلاف كل الحركات والبنى التي سبقت نموذج حزب الله، فان واحدة من أهم القيم التي تحكم رؤيته وممارساته هي التراكم والتواصل وغياب أي فرضية انفصال الرايات عن حامليها. لقد عثر المعنيون بحزب الله على بنية في حالة التحام حيوي بين الرؤية والموقف والسلوك بصورة تستجلب الاحترام والاعتراف والمهابة.

ومع حزب الله فان وعينا الجماعي قد صار بازاء فاعل تاريخي مختلف من حيث الخطاب والحضور والقدرة. فاعل يشكل رهانا لشروع يتجاوز بكثير الحيز الذي نشأ فيه (لبنان) ويتعدى الوظائف المباشرة بمكان النشأة. وبقراءة تاريخ المقاومات الحديث في المنطقة فان حزب الله يؤسس لتحقيب جديد لما قبله وما بعده. حيث يرتبط الأمر بحركة مقاومة أقامت عقد مروءة بينها وبين النصر والصدقية والفاعلية والانجاز وصفاء الرؤية والارادة الحازمة وطهارة اليد والسلاح والتصميم واليقظة والمبادرة والتواصل والتراكم... والقدرة على القيام والحضور في صلب التداخلات والتعقيدات دون فقدان الهوية أو الطابع أو التوازن. ان هذه القيم والعناصر التي تعتبر جزءا أصيلا من منظومة حزب الله الفكرية والاخلاقية والسلوكية تشير الى أمر عميق وبالغ الأهمية، أي اننا بازاء بنية حقيقية وأصيلة وقادرة على انتاج الرهانات وبلورة خيار مختلف وصلب وجامع. والتعبير عن منطق آخر يقدم نفسه من خلال الخبرة والتجربة والواقع كخيار للمقاومة والوجود والتحقق.

وفي خضم اعادة اسرائيل على نحو فج ومزر لمنطق الاستباحة والقوة الغاشمة ازاء منطق المقاومات المشروعة في فلسطين وفي لبنان تجري معركة ذات صبغة حاسمة في سياق الحرب الطويلة. معركة مختلفة عن كل المعارك الأخرى. حيث ستتحدد على ضوء نتائجها مسارات اللاعودة لجميع الفرقاء: لاعودة المقاومة عن التراكم والانجاز في طريقها الى النصر، ولا عودة اسرائيل عن طريق اللاجدوى والانكسار الأخلاقي والسياسي والمادي، أو عكس هذه الاحتمالات للطرفين. أي أن تنكسر المقاومة وتربح اسرائيل. لذلك فالمرجح ان تتصاعد هذه المعركة ميدانيا ورمزيا وسياسيا وأن تخوضها الأطراف المعنية بها حتى منتهاها.

ورغم صعوبة ومشقة الوضع لكل الأطراف (اسرائيل والمقاومة والمعنيين بهما) الا أن السياقات تعطي مؤشرات بالغة الدلالة، حيث تشغل اسرائيل منطق الاستباحة على نحو بأس وأرعن وبدون الزهو والرعب اللذين ارتبطا باستباحاتها السابقة. وتستهدف البشر والشجر والحجر مستندة لفائض قوة لا يحكمها عقل أو حكمة أو مسؤولية أو حصافة، وهو منطق ليس على أي صلة طيبة بالقتال الشريف، في نفس الوقت الذي تصعد فيه من ناحية المواقف السياسية وأهداف الحرب الى أعلى سقف متخيل، هو ببساطة غير قابل للتحقيق استنادا للمعطيات التي تحكم الواقع ومؤشرات ميادين القتال واحتمالاتها وتداعياتها. ويمكن لأي مراقب أن يجازف دون تحفظ بالقول، ان عمل منطق الاستباحة عند اسرائيل واشتغاله بأقصى طاقة تدميرية ممكنة، و(حتى) في ظل مناخ اقليمي عربي عاجز وفاسد ومتواطئ، ووضع دولي مساند (في غربة) لموقف اسرائيل، ليس بمقدوره أن يحقق الأغراض والأهداف التي تعلنها اسرائيل، هكذا وببساطة.

وفي مقابل ذلك فان منطق المقاومة عند حزب الله ومن معه قد حقق استباحة منهجية ومنظمة تحصل لأول مرة في تاريخ الصراع على هذا النحو لعمق اسرائيل ومعناها وسلاحها وقوتها والتصورات التي تحملها عن نفسها ولنسيجها الاجتماعي الذي تعود على سماع اخبار حروب دولته في أرض الآخرين البعيدة.

وفي سياق هذا التطور اللافت المتمثل في وجود معادلة غير مسبوقة، للاستباحات فان الفرضية ذات الأولوية هي، أنه ليس من السهولة على اسرائيل ايقاع أذى استراتيجي بحزب الله أو كسر شوكته أو استئصاله، وهذا يملي استحضار الاحتمالية المتولدة عن الفرضية الأولى وهي: ان خروج حزب الله من المعركة الأخيرة بدون أذى استراتيجي في قدرته ومكانته ومعانيه ينطوي على امكانية تعزيز موقعه كطرف مركزي لا يمكن تجاهله أو تخطيه، ليس في حدود لبنان بل وفي حدود المنطقة ومصيرها ومعادلاتها.

وبينما تؤدي استباحة حزب الله لاسرائيل أهدافا وأثرا فوريا في وعي الاسرائيليين والعرب والعالم، وتصل الى حد تحقيق ملامح صدمة لم يعتد عليها الوعي الجمعي الاسرائيلي في كل مستوياته، فان استباحة اسرائيل للبنان قد ذكرت حتى الغافلين بعدوانيتها وفظاعتها وبؤسها، وفي هذا المستوى فان فروقا ذات دلالة جوهرية لا يمكن تخطيها تقوم بين كلا الاستباحتين.

... وبالنسبة للبنان وحزب الله فانهم يحتسبون ضحاياهم شهداء عند الله، سواء كان ذلك بالمظلومية أو الموقف، وقد اعتادوا على بناء الحجارة التي سبق ودمرتها اسرائيل نفسها مرارا، وأعادوا زراعة الشجر في مكانه الأول، وليس هناك ما يشير لحصول انقسام داخلي جدي في لبنان بشأن العدوان، فان السؤال الذي سيظل يقض مضاجع الوعي الاسرائيلي، هو: كيف ستعيد اسرائيل ترميم معناها والاستهداف المنهجي والمتجدد لعمقها واهانة قوتها الرمزية والمادية في البر والبحر وتهديد نسيجها النفسي ووصول الحرب الى عتبات بيوت الاسرائيليين وانتهاك حصانة اسرائيل وقدرتها الردعية بالصورة التي تمت!!؟! ان هذا السؤال الذي ليس لدى قوة اسرائيل الكاسحة اجابة عنه يفتقد أيضاً لوجود قادة اسرائيليين حقيقيين بمقدورهم التعامل معه والوقوف المسؤول أمامه. وفي سياق ما يعرف بأزمة اسرائيل فان تغيرا جوهريا قد حصل في نمط قادة اسرائيل منذ اغتيال اسحق رابين في ساحة ملوك اسرائيل على يد يهودي. حيث ليس هناك قادة فعليون ومسؤولون في اسرائيل حاليا، لأن الغطرسة والتسابق الغرائزي واستحضار رواسب من اللاوعي الجماعي والتوافق مع رعونة الجمهور وقطاعات واسعة فيه، ليست الخصال المطلوبة للقادة الحقيقيين وخصوصا في دولة مثل «اسرائيل».

وأيا تكن مقاربات المعركة الجارية في لبنان حاليا، فان الاحتمالات التي تطرحها هي: اما دخول حزب الله ومعه كل مقاومات الهلال الخصيب من العراق الى فلسطين في مسار اللاعودة في طريق الانجاز والنصر الشاقة والطويلة أو الانسحاق المرير الى أجل مؤلم وطويل.

وبقراءة نمط مقاومة حزب الله ورؤيته وعقيدته وخطابة وسلوكه الميداني وسلم التوقعات منه، فان اسرائيل تواجه خصما مقتدرا لديه تصميم بلا حدود للمواجهة والثبات والمطاولة، ويبدو أنه قد أعد عدته لمدى يتجاوز بكثير ما يتوقعه منه حتى حلفاؤه الأقربون في المنطقة من طهران الى دمشق.

وبالنسبة لاسرائيل فان خياراتها شاقة في كل حال، لأنها اذا تمكنت من تحطيم المقاومة في لبنان فسوف تؤسس وبالاستناد لتجاربها السابقة لمقاومة أخرى قادمة أشد وأعتى قد لا تحتاج لسنوات. هذا اذا ما تجاهلنا (اعتباطا) القدرة التعديلية والاستراتيجية التي تنطوي عليها المقاومة العراقية على صعيد المنطقة ككل، والطاقة الدرامية للمقاومة الفلسطينية أيضا.

أما اذا تقهقرت اسرائيل ميدانيا ورمزيا وسياسيا قياسا الى سقف اهدافها، بعد هذا التشغيل المروع والفظ لقوتها التقليدية في أوسع معانيها، واضطرت للنزول من أعالي شجرة الاستباحة السياسية التي صعدت اليها فان المعنى الرمزي والاستراتيجي لمثل هذا النزول سيضعها في كنف المخاوف والمهانة، وفي كلا الحالتين عليها أن تسأل ثقافة الاستباحة التي تتملكها في الوعي واللاوعي والدروب المهلكة التي يمكن لهذه الثقافة أن تقود اليها امبراطوريات عاتية وليس «اسرائيل» فقط.

وبينما تؤكد معركة لبنان وتكثف صدى مقاومات الهلال الخصيب من العراق الى فلسطين فإن واحدا من أهم الاستنتاجات التي يمكن الوقوف ازاءها هو أن المسار المقاوم في المنطقة لم يمتلك (ومنذ ما بعد تحرير صلاح الدين الأيوبي للقدس من أيدي الفرنجة) ما يمتلكه الآن من قدرة وفاعلية وحيوية وحضور وامكانيات الفعل والقرب من النصر والانجاز وقطع خطوط العودة الى الانتكاس والانكسار والضمور والاندحار.

... ان المسار المقاوم الحالي في المنطقة الذي يرمي لرد العدوان والظلم والاستهداف الاسرائيلي الأمريكي وما يمثله من امتدادات، وصياغة مصير حر ولائق للمنطقة والعرب يدفع بصعوبة ومشقة وكبد ولكن بنجاح ملحوظ، مسار العلو الاسرائيلي ـ الامريكي الكبير نحو آفاق هلاك جدية وحقيقية، فيما يتعرض منطق الاستباحة الذي يحكم هذا العلو للخلخلة والاهانة والتنكيل، وفي هذا الخصم المعقد فان من أكثر النتائج مدعاة للازدراء هي وصول فساد وعجز وتواطؤ البنى الرسمية العربية السائدة الى حالة الانكشاف المطلق والمزري. أما حزب الله فانه يعطي في هذه الآونة بالذات أكبر موعظة ميدانية للقول الكريم «أن تنصروا الله ينصركم ويثبت اقدامكم» صدق الله العظيم.

* كاتب وأستاذ جامعي من فلسطين

من نتائج العدوان الاسرائيلي:

توازن الرعب بين سلاح الجو الاسرائيلي وصواريخ حزب الله وبروز جيل عربي لن يؤمن مستقبلا بالسلام مع إسرائيل

حسين مجدوبي*

يكشف العدوان الاسرائيلي الحالي ضد لبنان عن معطيات جديدة تهم مستقبل الصراع العربي ـ الاسرائيلي برمته لأنها معطيات تتبلور بسرعة وتشمل تغييرات مست مفهوم الحرب مستقبلا بعد العجز العسكري الواضح لإسرائيل، وهمّت ما هو عقائدي بعد الإشادة المتبادلة وغير المباشرة بين السنة والشيعة وكأنه حوار جديد بين التيارين على مستوى الجهاديين لا سيما بعد الخطاب الذي وجهه الرجل الثاني في تنظيم القاعدة أيمن الظواهري كرد على مضامين خطب الزعيم حسن نصر الله الذي تحدث عن الأمة الاسلامية متجاوزا التفرقة الدينية التاريخية علاوة على نمو جيل من العرب والمسلمين حاقد على إسرائيل ويرغب في الانتقام بعد معايشته اليومية للاعتداءات عبر قنوات التلفزيون، وسيصبح الحديث عن السلام بالنسبة مستقبلا عبارة عن «خيانة للتاريخ والمبادئ».

توازن الرعب بين سلاح الجو والصواريخ

اعتاد العرب الاعتراف بالتفوق العسكري الكاسح لإسرائيل، فباستثناء الانتصار الصغير الذي حققه الجيش المصري في حرب 1973 أسفرت جميع المواجهات العسكرية عن انتصارات مستمرة للقوات العسكرية اليهودية، الأمر الذي دفع عددا من الأنظمة الى الرهان على السلام مجبرة على ذلك للحفاظ على بقائها ولترضية واشنطن وليس حبا فيه، ونعني أساسا مصر والأردن، في حين التزمت سورية منزلة بين منزلتين بين تحقيق السلام دون التفريط في الكرامة الوطنية والرهان على الحرب في حالة تحقيق التوازن العسكري، الهدف الذي لم يتحقق حتى الوقت الراهن.

غير أن الحرب الحالية والتي تعرف بالسادسة التي تشنها إسرائيل ضد لبنان بدأت تساهم في ظهور نمط جديد من المواجهات العسكرية وخاصة بين الدول المجاورة. معظم الدراسات العسكرية تكشف أن مستقبل الحرب قائم على التفوق في سلاح الجو الذي يلحق بالعدو خسائر دون احتكاك مباشر للقوات البرية التي تقوم بالتدخل بعد إضعاف العدو، وهو ما طبقته الولايات المتحدة على العراق قبل غزو أراضيه. وتعالج مجلة «الدفاع والأمن الدولي» الفرنسية المتخصصة في الشؤون العسكرية في عددها الأخير مزايا الحرب الجوية ومستقبلها، وفي المركز الثاني قوات البحرية بحكم أن أغلب دول العالم لديها شواطئ، وبالتالي فغزوها يتطلب النزول في شواطئها كما أن خنقها اقتصاديا يتطلب فرض حصار بحري على موانئها، ولهذا السبب فالولايات المتحدة تتوفر على قوات المارينز التي تعد طليعة الجيش الأمريكي.

إسرائيل، ووعيا منها بهذا، فهي تمتلك أحسن الطائرات الحربية في العالم، فطائرات «إف 16» التي تقتنيها من الولايات المتحدة عادة ما تدخل عليها تعديلات تجعلها في بعض الأحيان متفوقة عن النسخة الأصل الأمريكية بفضل المستوى الجيد لمهندسي الطيران الحربي. وفي الوقت نفسه، فبوارجها الحربية لا تقل قدرة ومناورة عن البوارج البريطانية الأكثر تطورا في العالم نظرا لطبيعة هذا البلد الأوروبي المحاط بالبحر من كل جانب.

خلال الحرب الحالية، اعتمدت إسرائيل مجددا على سلاح الجو معتقدة أن حزب الله يمتلك فقط صواريخ كاتيوشا محدودة المدى لا تتعدى بضعة كيلومترات شمال إسرائيل، لكن المفاجأة كانت استعمال مقاتلي حزب الله صواريخ متوسطة المدى كان من نتائجها إصابة ثالث مدينة إسرائيلية وهي حيفا بالشلل شبه التام، سياحيا واقتصاديا والتهديد كما جاء على لسان زعيم حزب الله حسن نصر الله «ما بعد بعد حيفا»، في إشارة الى تل أبيب.

صواريخ حزب الله خلقت توازن الرعب في مواجهة التفوق التام للطيران الاسرائيلي وإن كان الأخير قد ألحق خسائر فادحة بالبنيات التحتية اللبنانية لأنه يقوم بحرب ضد المدنيين في خرق تام للقوانين والأعراف الدولية. الصواريخ التي استعملها حتى الآن هي ذات المدى الصغير، يوم الجمعة الماضية لجأ الى صواريخ ذات مدى أبعد «خيبر» تحمل مائة كلغ من المتفجرات ضربت مدينة العفولة التي تقع جنوب حيفا، ويجري الحديث عن صواريخ أخرى «زلزال» تصل الى تل أبيب ووزن متفجراتها 600 كلغ.

في الوقت نفسه، كشفت المواجهات العسكرية التي دارت في مارون الرأس وبنت جبيل أن وحدات جيش حزب الله ذات مستوى احترافي عال لا يتوفر عليه أي جيش عربي ويعادل مستوى قوات النخبة في الجيوش الغربية والروسية وربما فاقها نسبيا بسبب «الايمان بقضية للدفاع عنها». وتنقل جريدة «هآرتس» الاسرائيلية آراء العسكريين من الدولة اليهودية التي تؤكد أن قوات حزب الله ليست بالسهلة بل كبدت وحدات «غولاني» التابعة للجيش الاسرائيلي خلال مواجهات بنت جبيل خسائر لم يكن ينتظرها ولم يتصورها نهائيا.

ومن مظاهر تقهقر القوات البرية الاسرائيلية التراجع التدريجي في سقف أهدافها العسكرية من القضاء على حزب الله، والانتقال الى تجريده من الأسلحة فإبعاد قواته الى نهر الليطاني أي عشرين كلم عن الحدود ثم الحديث عن 2 كلم فقط، وأخيرا سحبت إسرائيل قواتها من بنت جبيل نتيجة المقاومة الشرسة.

وفي البحث عن ما وراء «الحدث»، أي قوة صمود حزب الله، فإسرائيل ومعها الولايات المتحدة أخذتا صورة مسبقة عن القوة العسكرية والتقنية لإيران، فحزب الله بزعامة نصر الله ما هو إلا صورة مصغرة للغاية عن مستوى الجيش الايراني. وإذا كان بضعة آلاف من المقاتلين قد وقفوا في وجه إسرائيل فكيف سيكون الوضع عليه في حالة المواجهة مع إيران ذات الجيش الذي يتجاوز مليونا علاوة على ملايين المتطوعين بل وحتى مع سورية التي تدرب جيشها على الطراز الايراني خلال العقد الأخير. ولعل ما أحدثته الصواريخ وتقنية القتال العالية لحزب الله هي التي دفعت تل أبيب الى عدم التفكير في مواجهة سورية عسكريا وقد تستبعد أي هجوم ضد المنشآت الايرانية مستقبلا. ولعل أكثر من مراقب عربي يقول «ماذا لو تكلف حزب الله بتدريب القوات العسكرية العربية والتخطيط لمشترياتها من الأسلحة».

من جهة أخرى، توازن الرعب النسبي الذي خلقته صواريخ حزب الله، سيدفع دول المنطقة المجاورة لإسرائيل للتركيز مستقبلا على اقتناء الصواريخ المتوسطة المدى ما بين 20 الى 200 كلم، التي لا تعترضها صواريخ مضادة كباتريوت كسلاح ردعي. والأخطر أن سلاح الردع الجديد يتطلب فقط مئات ملايين من الدولارات وليس المليارات، ثم تدريبا عسكريا محكما.

ومن خلال تتبع نقاشات «غرف النقاش العسكري» في شبكة الانترنت في الدول الأوروبية، يدلي الخبراء برأيهم، ويعكسون قلق إسرائيل لأنها دولة صغيرة وكل صاروخ يسقط في الأراضي المغتصبة يعني لجوء مدينة بكاملها الى الملاجئ ومغادرة بعض اليهود لهذا الكيان نحو دول المهجر التي قدموا منها. وعلاقة بالنقطة الأخيرة، فإذا كانت الحرب قد سببت 500 ألف نازح لبناني، فـ25% من سكان إسرائيل في الملاجئ، وإذا ضرب حزب الله تل أبيب فوقتها سيكون 60% من اليهود في الملاجئ، نسبة أخرى ستعود الى أوطان المهجر، وهو ما يفسر تصريح شمعون بيريس أن «هذه معركة حياة أو موت».

الحرب الحالية كشفت ما ردده حزب الله من أن «إسرائيل ليست قوية إلا في أذهان البعض، وإذا استطعنا أن نتجاوز هذا الاعتقاد، فلا شك أننا سنجد أن هذا الكيان أهون من بيت العنكبوت».

قيادة دينية جديدة وحوار بين جهاديي السنة والشيعة

لعل الملاحظة المثيرة التي اكتشفها الرأي العام العربي هي القيادة الهادئة لحزب الله، فحسن نصر الله أطل منذ بداية الحرب أربع مرات على العرب، لم يرفع شعارات «نرمي اليهود في البحر»، لم يطالب بدعم المسلمين والعرب بل طالب المتآمرين من أنظمة عربية بالحياد والمسلمين بالدعاء للمقاومة. في الوقت نفسه، لم يهاجم الغرب بشدة ولم يطلب من الحركات الاسلامية المسلحة ضرب الولايات المتحدة وبريطانيا وحلفائهما كما عودنا زعيم القاعدة أسامة بن لادن بل ركز على «الكرامة العربية والاسلامية». هذه المزايا أكسبته احترام ساسة الغرب ورأيه العام، ووجد العرب في نصر الله إنسانا براغماتيا بعيدا عن الشعارات الرنانة التي لا تصمد كثيرا في الواقع. وترتب عن هذا الاعجاب الاهتمام بالشيعة، فبعض المسلمين بدأوا يتساءلون، لماذا الشيعة ينجحون والسنة يتأخرون؟ لماذا تقترب إيران من صنع القنبلة النووية وباقي العرب يوقعون صفقات أسلحة خيالية عادة ما تستعمل لقمع شعوبهم؟

الوضع الحالي قد يدفع بالحركات الشيعية في الدول العربية السنية ومن ضمنها المغرب العربي وليس فقط في دول المشرق العربي أن يكشفوا عن أنفسهم علانية طالما أصبحوا «أسياد المقاومة في وجه إسرائيل التي عجزت الأنظمة العربية السنية عن تحقيق ولو نصر بسيط على الصهاينة» كما جاء في موقع للدردشة في شبكة الانترنت.

والجديد المترتب عن هذه الحرب هو المغازلة التي تدور بين تياري جهاديي السنة والشيعة وإن كان بدأ نسبيا بالتنسيق بين حركة حماس وحزب الله. فحسن نصر الله طلب دعاء المسلمين قاطبة وأن حزب الله «يخوض حرب الأمة»، وجاء الرد من عند علماء الدين السنة بدعم المقاومة مع بعض الاعتراضات، لكن الملفت هو خطاب أيمن الظواهري الخميس الماضي بدعم المقاومة والانتقام مما يحصل في لبنان وفلسطين.

ولعل الابتسامة ستغيب نهائيا عن شفتي الرئيس الأمريكي جورج بوش وقادة البنتاغون إذا رفعت له المخابرات الأمريكية احتمال تفاهم الشيعة والسنة في العراق وإمكانية التنسيق بين الأجنحة المسلحة، وقتها سيتحول العراق الى جهنم للقوات الأمريكية.

القنوات الفضائية وجيل الانتقام

لأول مرة تقوم القنوات الفضائية في تاريخ الاعتداءات والحروب الاسرائيلية ضد العرب بتغطية شاملة ومباشرة لهذه الاعتداءات بحكم الانتشار الواسع للصحون بعد سنة 2000. «الجزيرة» و«العربية» و«المنار» و«العلم» تنقل خلال هذه الأيام وطيلة 24 ساعة مشاهد الدمار في لبنان وفلسطين، مشاهد القتلى والنازحين مشاهد تدمير البنيات التحتية للبلدين العربيين، وخلال مجزرة قانا صباح الأحد الماضي تسمر العرب أمام التلفزيون وغالبيتهم تردد «يجب الانتقام».

هذه المرة العرب يعيشون الاعتداءات ولا يقرأون عنها فقط في الجرائد كما حدث في الماضي. الجيل الحالي وخاصة الشباب ما بين 14 و25 سنة المدرك للأحداث بدأ يتربى على حقد دفين ضد إسرائيل ورغبة في الانتقام منها. وسيترتب عن هذا مزيد من الايمان بالحلول الراديكالية ضد الدولة الصهيونية وسيكون من الصعب الحديث عن السلام مستقبلا بين الدول العربية والكيان الصهيوني لأن السلام يعني ببساطة «خيانة الدين والمبادئ والتاريخ». فالرأي الذي ساد نسبيا في العالم العربي بعد اتفاقيات أوسلو بإمكانية السلام مع إسرائيل تبخر مع الجيل الحالي وسيكون من المستحيل مستقبلا.

في غضون ذلك، فالحرب الحالية أفرزت تطورات لم تخطر على البال حتى الوقت القريب، عسكريا من خلال توازن الرعب بين طيران إسرائيلي وصواريخ عربية، دينيا، قيادة اسلامية هادئة وحوار بين تياري الشيعة والسنة على المستوى الجهادي، واجتماعيا، جيل من المسلمين سينمو على كراهية إسرائيل ويستحيل قبوله للسلام مستقبلا، ليكون تاريخ العرب قد دخل مرحلة جديدة نتيجة الحرب السادسة إما أن تقود الى سلام حقيقي وستكون إسرائيل ملزمة بتطبيق القرارات الدولية أو ستنتظرها أبواب جهنم.

* صحافي من المغرب يقيم في اسبانيا

اللحم العربي في مرابع باريس!

غسان المفلح*

■ المرأة العربية بين سائحة لا يظهر وجهها تحت النقاب في ترف الشانزليزيه وبين المرأة التي تبيع نفسها في مرابع باريس لكي تعيش وتطعم عائلتها في المغرب أو في أي بلد عربي آخر..

لا أتحدث هنا عن إشكالية المرأة العربية، بل نتحدث عن الوضع المريع في جاهزيات المجتمعات العربية والغربية في قضية الدعارة الشرعي منها وغير الشرعي.

هل ممارسة الدعارة من أجل لقمة العيش حرية شخصية وفردية؟! ربما من باب الحق الإنساني ان بيع الجسد جزء من الحرية الفردية التي لا يعاقب عليها القانون ولكننا نتحدث خارج هذا المعيار.

إنه نزيف العقل في بحثه عن قيميات الوضع الإنساني في الحضارة المعاصرة. لأنها ليست مشكلة المراة المغربية وحدها بل هي مشكلة حضارة تنزع نحو العقل في قمقمه الأثير حيث هندسة الجينات والاستنساخ والانفورماتيك في أوج النقلة النوعية نحو خلق الإنسان ـ السوبرماني في نسخته النيتشيوية المعاصرة سواء كان آليا أم انه إنسان من لحم ودم. إنه الرخص في قيمة الإنسان في مجتمعات لم تنتج عدالتها بعد.. والعدالة ليست تقسيم ـ الفلوس بالتساوي بين البشر بل هي تقنيم النفوس.. والأقنمة هنا هي القيمة الإنسانية للفعل الحضاري فيما يشبه قانونا لا اكراهيا لا بالشرطة ولا بغيره من أجل امرأة بلا دعارة وعالم بلا فقر.. فهل هذا ممكن؟

ـ السوق نازل المنافسة حامية وهناك منهن من لا يحترمن سعر السوق في مواسم السياحة الباريسية..!! ومع ذلك تعترف إحداهن أن المال العربي نفسه من يشغل الدعارة العربية في باريس!

أليس هذا عجيبا غريبا؟ بالتأكيد العرب هم الطرف الأكثر قدرة على شراء اللحم العربي في باريس! وهنا ليس حكم قيمة على سلوك النساء أو الرجال بل هو البحث في امتهان إنسانية العربي في بحث هو من باب السرية المصرفية والإسلاموية والسلطوية العربية: ممنوع الخوض فيه وفي جذوره ومسبباته وآفاق الخروج منه..

سلوى نموذج لأنثى ذات جمال خلاسي يلملم المرء الأنوثة من حولها أينما حلت ومع ذلك ـ لكل مقام مقال أو لكل مقام سعر ـ يحز في النفس أن تصرح أن هذا تحول في باريس إلى نمط حياة.

وليس فقط إلى جني بعض المال سواء للغنى أو لتعيش أهلها في المغرب وهي جعلتنا الصدفة أن نصبح أصدقاء وما شدني لهذه الصداقة البريئة هو درجة صدقها مع نفسها ومع ظروفها الحياتية..! نمط حياة ينتقل بالعدوى من امرأة إلى اخرى ومن فتاة إلى أخرى في ظل تجارة الرقيق الأبيض وتجاره المتحالفين مع السلطات في جميع أنحاء العالم.. ماذا تفعل السلطة المغربية إزاء تفشي هذه الظاهرة الخطيرة والتي على ما يبدو أن هذه السلطة لا تريد التفريط فيها لأنها على ما يبدو أيضا أنها أحد أهم مصادر العملة الصعبة التي تدخل المغرب كحال الجمال اللبناني في الخليج العربي أيضا هو أحد مصادر الدخل في لبنان.. حتى أن المرء يشعر أن المسألة تحولت إلى تواطؤ مجتمعي على قبول هذا الأمر نتيجة للفقر والحاجة.. رغم أنه مجتمع إسلامي.. في سورية الدعارة منتشرة أيضا بطريقة تبدو الآن مرعبة في بعض المناطق حول المدن الكبيرة وبرعاية أيضا من السلطة.. وإن لم يكن برعايتها فبغض الطرف على الأقل.. وليس المطلوب اعتقال هؤلاء النسوة لأن اعتقالهن بتهمة الدعارة هو إيصال قيمة الإنسان والمرأة هذه إلى القاع الذي ليس بعده قاع من الامتهان لآدميتها..بل إيجاد حل مجتمعي على كافة الصعد الاقتصادية والثقافية والأخلاقية والتعليمية..الخ وهذه مهمة الدولة والمجتمع معا.. وأنا أكتب هذه العجالة أشعر أنني كإنسان عربي بالغيرة والحمية وامتهان الكائن.. على ما عرفته بمحض الصدفة ولا أعرف في الحقيقة سببا لعصبيتي هذه في التعاطي مع شأن يعتبر عاديا بالنسبة للكثيرين.. وهل هي عصبية تافهة أم لها بعد إنساني أصيل؟ هذا في الحقيقة أمر غاية في التعقيد من منظار قيمي وأخلاقي وتعبوي بالمعنى الوجداني للمفردة..

سنا.. فتاة في عمر الورد لها وضع خاص لذا هي في محيطها لن تكون قادرة على الخروج من دوائره فتجد لها تركيبة غاية في التعقيد في الحقيقة وتقول ليس كل البنات من عائلات فقيرة هنالك فتيات من أرقى العائلات وأغناها يمارسن الدعارة.. أما هي فلا تريد بيع جسدها ولكنها أيضا لا تستطيع العيش خارج هذا الفضاء في سلوكياته العامة مع نفسها ومع الرجل..الخ..

فالرجل بالنسبة لها شيئان فقط: مصدر مال ومصدر خوف في الآن معا لأنه لا يريد من المرأة سوى جسدها ولا يعترف فيها بغير جسدها أبدا! تناقشها في الأمر لكنها لا تقتنع هكذا علمتها الحياة والتعاطي مع الرجل وهو غالبا عربي ليس غالبا فحسب بل مطلقا هو عربي أصيل! فهي تخرج مع رجل ويمكن أن تطلب منه ما تشاء من هدايا وعطايا ولكنها أبدا لا تسلمه نفسها ـ أيضا تريد أن تعيش كما تعيش بقية صديقاتها.. سهر وخلافه! لكنهن في نهاية المطاف يرغبن برجل يأخذهن بعيدا عن تلك الأجواء ويتعامل معهن باحترام ويكن شريكات حقيقيات له في الحياة. و ـ يستتهن ـ كما يعبرن عن هذا الأمر.. ويعملن عملا حقيقيا ليس لديهن أي مانع وبشهادات تحصيلهن العلمي..ولكن لماذا رجل وليس مجتمعهن من يأخذ بيدهن..؟!

ربما بعضنا يقول: إن هذه المشكلة هي آخر إشكالياتنا العربية خصوصا ونحن لدينا مقاومات كثيرة ومتكثرة للمشروع الغربي حياكم الله في هذه المحنة اللبنانية! وبهذا أيضا يزيد في هذا القول امتهانه ليس للمرأة العربية بل للإنسان العربي الذي يكفيه ما تقوم به السلطات العربية من إهدار لحقوقه على مذبح فسادها وتمسكها بهذا الكرسي الذي لا قبله قيمة ولا بعده قيمة..وأنا أتمنى أن أكون بهذا الملف الصغير قد فتحت بابا صغيرا جدا كي نرى مأساة الإنسان عموما في هذه الحضارة والإنسان العربي خصوصا وبشكل أخص المرأة العربية التي يقع عليها وعلى جسدها وروحها العبء الأقبح والأكثر تراجيدية..! في ظل غياب مبدأ بسيط جدا طالما يكذب فيه الرجل العربي وهو مبدأ الفروسية بمعناه الإنساني..وخصوصا عند فرسان السلطات العربية... لهذا على مجتمعنا العربي أن يكون الفارس العربي في هذا العصر..لأن الرجل العربي.. بلا تعليق..!!! أعتذر عن أي إساءة وردت عن غير قصد مهما كانت لأن قصدنا رفع الحيف عن الإنسان العربي عموما والمرأة العربية بشكل خاص.

* كاتب من سورية

اسرائيل تلجأ الى الانترنيت لتجميل وجهها القبيح!

د. جمال المجايدة *

■ اسرائيل في ورطة، وباتت تخشى العزلة الدولية، لهول ما ارتكبته من جرائم بحق شعبي لبنان وفلسطين، ورغم وقوف الرئيس الامريكي بوش ورئيس وزراء بريطانيا بلير الى جانب العدوان الاسرائيلي الاجرامي في لبنان وفلسطين الا ان الحكومة الإسرائيلية تشعر بان الرأي العام العالمي اصبح ضدها ومتفهما لوجهة النظر العربية اكثر من أي وقت مضى، ربما لهذا السبب، أمرت حكومة الارهابي اولمرت بتخصيص مجموعة من الديبلوماسيين الشباب لمواجهة الحملة الإعلامية العالمية المناهضة لإسرائيل على الإنترنت، للعمل على تجنيد مئات آلاف من النشطاء اليهود المؤيدين للدولة العبرية في العالم والطلب منهم أن يدخلوا إلى مواقع على الشبكة في الولايات المتحدة وأوروبا بعد تزويدهم بالعناوين الإلكترونية لهذه المواقع من أجل نشر رسائل مؤيدة لإسرائيل فيها.

وحسب صحيفة «التايمز» البريطانية فإن اسرائيل جندت خلال اسبوع ضمن هذه الحملة خمسة آلاف طالب جامعي من أعضاء الاتحاد العالمي للطلاب اليهود وزودتهم ببرامج كمبيوتر متخصصة ذات قدرة عالية بإمكانها تحديد المواقع المعادية ومواقع الحوار المختلفة لضمان توصيل الموقف المؤيد لإسرائيل إليها.

الواقع يقول ان اسرائيل لو جندت خمسة ملايين وليس خمسة الاف فانها ستظل دولة معادية لحقوق الانسان وللسلام والقانون الدولي والشرعية الدولية وسوف تظل دولة مارقة خارجة عن الاعراف الدولية، دولة غير شرعية لانها قائمة على البطش والارهاب واهدار حقوق الانسان في فلسطين ولبنان.

وانا على يقين ان الخمسة الاف من طلبة الجامعات الإسرائيليين الذي يسعون لتمشيط الإنترنت بحثاً عن مواقع بلغات مختلفة من أجل الحصول على عناوين هذه المواقع ونقلها لمئات آلاف المتطوعين اليهود في العالم لكي يتولوا عملية فرض